

الصدق

حقيقته.. منزلته.. آثاره وثمراته

أ.د. عبد الله الزبيد عبد الرحمن

الصدق

حقيقته .. منزلته .. آثاره وثمراته

تأليف

أ.د. عبد الله الزبير عبد الرحمن

محفوظ
جميع الحقوق

الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ
عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

[البقرة : ١٧٧]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

[الحجرات : ١٥]

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر : ٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

اللهم فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان.

وبعد:

فالصدق خلقٌ كريمٌ، التزامه بطولة، والاتصاف به قِمة، والتخلق به نعمة، وتخليه سخط ونقمة.. الجميع يرجو ويحب أن يوصف به، والكل يغضب إذا نُفي عنه، والكبير والصغير يرفض ويثور أن يوصف بضده. فهو الخلق الذي ارتضته الفطرة ودعمته، وتنادت به العقول وأوجبته، ودعت إليه الأديان جميعها وفرضته.

لذا؛ كان التنبيه إلى هذا الخلق العظيم مهماً، وبيان حقيقته ومطلوباته حرياً بالتدوين، ودعوة كل مسلم إلى التزامه في سائر الأحوال والأقوال دعوة مباركة لعل كثيرين منّا يرتقون مدارج السالكين إلى الله فتتقى النفوس وتزكو، وتطمئن القلوب وتصفو، نعيد بذلك مجتمع الصدق

والصادقين، نمثل بهم مجتمع المسلمين في هذا الزمان الذي قلّ فيه الصادقون وكثر المالكون^(١).

فجاءت هذه الرسالة الموجزة تبين:

- معناه وحقيقته.

- مكانة الصدق ومنزلته.

- والدعوة إليه في الكتاب والسنة.

- مقامه عند أئمة العلم..

- حكمه وحكم الكذب.

- درجاته ومراتبه.

- مجالاته ومحاله.

- ثمراته وعاقبته.

فالله أسأل أن يوفقني في الترغيب إلى التخلق به، والترهيب من الاتصاف بضده، وأن يتقبل هذا الجهد مني فيرزقني به الإخلاص في القول والعمل، والتوفيق إلى مرضيه، وإدخاله في الصادقين، والفوز بالجنة والنجاة من النار، فإنه وليّ ذلك والقادر عليه الرحمن الرحيم.
والحمد لله رب العالمين..

راجي رحمة مولاه

عبد الله الزبير عبد الرحمن

(١) المَلَقَ بالتحريك: أن تعطي باللسان ما ليس في القلب. القاموس المحيط ص ١١٩٣.

مفهوم الصدق ومعناه

الصدق بالكسر والفتح: ضد الكذب، ولمادة الصدق في وضع اللغة معان عديدة، منها ^(١):

- الشدة، فيقال: رجلٌ صدق، وصديق صدق، وامرأة صدق..
- الصلاح، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [يونس : ٩٣]. أي أنزلناهم منزلاً صالحاً.
- الحبيب، ومنه الصدوق والصديق. ولهذا قال بعض البلغاء : صديق مساعد عضد وساعد. وقال بعض الشعراء:

هموم رجال في أمور كثيرة

وهمي من الدنيا صديق مساعد

نكون كروح بين جسمين قسمت

فجسماهما جسمان والروح واحد

وقيل: إنما سمي الصديق صديقاً لصدقه، والعدو عدواً لعدوه عليك ^(٢).

- الزكاة وما أعطي في ذات الله تعالى، وهو الصدقة ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ.. ﴾ الآية.. [التوبة : ٦٠].

(١) راجع: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ١١٦١-١١٦٢.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٢٠١.

- مهر المرأة لاستحلال العشرة، وهو الصداق، ومنه قوله عز وجل ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء : ٤].

- الكامل من كل شيء، الصلب المستوي من الرماح والرجال، وهو الصَّدُق والصَّدُق بالتسكين، يقال: قومٌ صدقون، ونساءٌ صدقات، ورجلٌ صدق اللقاء والنظر، وقومٌ صدقٌ. ولذلك يقولون: «عزيمة صادقة، ومحبة صادقة، وإرادة صادقة، إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء»^(١).

وهذه المعاني جميعها - إن لاحظتها - تجدها حَسَنَة الدلالة، بديعة المدلول، رائعة الأبعاد، حميدة الآثار، فحق للصدق أن يُطلق على كل جميل حسن بديع حميد من الأخلاق والخصال في الأقوال والأفعال والقصود.

وفي مفهوم الصدق اصطلاحاً:

قال الهروي في منازل السائرين: «الصدق اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولاً ووجوداً»^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: «الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك؛ لم يكن صدقاً تاماً»^(٣).

وقال الجرجاني: «الصدق مطابقة الحكم للواقع»^(٤).

(١) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، ج ٢ ص ٢٩٠.

(٢) المدارج لابن القيم، ج ٢ ص ٢٩٠؟

(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص ٢٧٧.

(٤) التعريفات للجرجاني، ص ١٣٢.

والتعاريف كلها تتلقى في معنى واحد جامع هو أن الصدق اصطلاحٌ للحقيقة المطابقة للواقع سواءً أكان فعلاً وقع مطابقاً لما وعد به أو أخبر به أو نواه وعزمه، أم كان ذلك قولاً نطق به، أم كان أمراً اعتقده في نفسه.

هذا هو التعريف العام لمصطلح الصدق عند أهل العلم، وسيأتي قريباً - إن شاء ربي عز وجل ووفق - المعنى الشرعي الخاص بمدلوله القلبي العظيم الذي يقصد إليه الصالحون ويسعى إلى تحصيله الأخيار النبلاء والأصفياء والأولياء. جعلنا الله وإياكم من المؤمنين الصادقين بكرمه تعالى ومَنِّه وفضله.

مقام الصدق ومنزله

الصدق منزلة عظيمة من منازل السالكين إلى الله، وكما قال ابن القيم رحمه الله في المدارج عن منزلة الصدق: « هي منزلة القوم الأعظم، الذي منه منشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسِرْ عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميّز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تُرد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال. وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن

الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين»^(١).

وفوق ما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ؛ نجد منزلة الصدق أظهر وأجلى من وجوه وجهات:

١- فمن الوجوه الدالة على عظمة منزلة الصدق: أنه صفة ربانية اتصف به رب العزة تبارك وتعالى ثم طلب إلى عباده الصالحين أن يتصفوا به ويتخلقوا فيه بخلقه جل وعلا.

فإنه تعالى أثبت لنفسه أنه أصدق حديثاً، وأصدق قِيلاً، وأنه صادق الوعد لأنبيائه وأصفياه، فقال عن نفسه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء : ٨٧] . وقال ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء : ١٢٢] . وقال عن وعده نبيه ﷺ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح : ٢٧] . وقال عن وعده للمؤمنين ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . وقال أيضاً ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٢٢] . وقال جل جلاله عن صدق وعده باليوم الآخر ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات : ٥، ٦] .

٢- ومن الوجوه الدالة على عظمة منزلة الصدق: أن كتاب الله العزيز قد وصفه رب العزة بأنه كتاب صدق مبارك، وهو أرفع كتاب

(١) مدارج السالكين، ج ٢ ص ٢٧٩.

أنزل على نبي، وأنصح كتاب تُلي، وأنفع كتاب حُفظ، وأقدس كتاب قُرئ، وأعظم كتاب سُمع، وأصدق كتاب حُمِل في القلوب والعقول. فلو وصف هذا الكتاب الأعظم الأكرم الأرفع الأنفع الأنصح بالصدق فآية مكانة للصدق في قلوب أهل الإيمان!! وأيِّ مقام للصدق في مراقبي الصعود للسعود في جوار الرب الودود!!.

وصدق القرآن بإطلاق وبتصديق كلام الله في الكتب التي أنزلت على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم.

- فإطلاق وصف القرآن بالصدق في قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ [الزمر ٣٢]. قال البغوي في معنى قوله ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾: بالقرآن^(١). وقال ابن الجوزي: ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ هو التوحيد والقرآن^(٢). وقال القرطبي: ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ يعني القرآن^(٣).

- ووصف القرآن بالتصديق في آيات:

- منها قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

- ومنها قوله تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].

- ومنها قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ

(١) تفسير البغوي، ج ٧ ص ١٢٠ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي، ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٣) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥ ص ٢٥٦ .

الْكِتَابِ وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ ﴿[المائدة: ٤٨].

- ومنها قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١].

- ومنها قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧].

ثم أتمها بإتمام كتابه صدقاً وعدلاً وقد قال: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

٣- ومن الوجوه الدالة على عظيم منزلة الصدق: أنَّ حقائق الإيمان ومعالم التوحيد لا تتم ولا تكتمل إلا بالصدق..!

- فالرجاء لا يتحقق به التوحيد إلا بصدق الرجاء،

- والخوف لا يكتمل إلا بصدق الخوف، فالصادق في خوفه تراه

منتهباً لا يغفل بلهو ولا نوم، وكما قيل:

أَخَوْفٌ وَنَوْمٌ إِنَّ ذَا لِعَجِيبٍ

تَكَلَّتْكَ مِنْ قَلْبٍ فَأَنْتَ كَذُوبٌ

أما وجلال الله لو كنت صادقاً

لَمَا كَانَ لِلْإِغْمَاضِ فِيكَ نَصِيبٌ^(١)

- والتوحيد أصلاً لا يكون إلا بالصدق، ولهذا قال محمد بن إسحاق

الواسطي رحمه الله: «الصدق صحة التوحيد مع القصد»^(٢).

- والإيمان أساسه الصدق كما أن النفاق أساسه الكذب، ولذلك كان

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص ٢٩٠. الشاملة.

(٢) الرسالة القشيرية، ص ٢١٢

من لوازم الإيمان التقوى ومن لوازم التقوى الصدق، فكان من لوازم الإيمان الصدق، وقد قال جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

- والتوكل على الله لا يتحقق إلا بصدق الاعتماد على الحي الذي لا يموت، في كل ما يكون فيه العبد محتاجاً إلى شيء.
فالرزق يجب أن يكون الاعتماد فيه على الله لأنه هو الرزاق ذو القوة المتين.

والعزة يجب أن يكون الاعتماد فيها على الله لأنّ العزة لله جميعاً..
والنصر والتمكين يجب أن يكون الاعتماد فيه على الله، وما النصر إلا من عند الله القوي العزيز.
حتى الهناء والسعادة واطمئنان الفؤاد والقلب لا يكون في الحقيقة إلا بصدق الاعتماد على الله وحده.

٣- وقد أحسن الراغب رحمه الله تعالى حين جعل الصدق أصل المحمودات وركن النبوات كلها حين قال: «الصدق أحد أركان بقاء العالم، حتى لو توهم مرتفعاً لما صحّ نظامه وبقاؤه، وهو أصل المحمودات، وركن النبوات، ونتيجة التقوى، ولولاه لبطلت أحكام الشرائع، والاتصاف بالكذب انسلاخ من الإنسانية، لخصوصية الإنسان بالنطق، ومن عُرف بالكذب لم يعتمد نطقه، وإذا لم يعتمد لم ينفع صار هو والبهيمة سواء، بل يكون شراً من البهيمة، فإنها وإن لم تنتفع بلسانها؛ لا تضر، والكاذب يضر ولا ينفع» اهـ^(١).

(١) انظر: فيض القدير للمناوي، ج ٢ ص ٤٥٧، شرح الزرقاني لموطأ الإمام مالك، ج ٤ ص ٥٢٥.

ومن هنا! كان الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتحريره في كل قضية، والتزامه في كل موقف، والمصير إليه في كل حكم، دعامة ركينة في خلق المسلم، وصبغه ثابتة في سلوك المؤمن^(١).

دعوة القرآن الكريم إلى الصدق

لقد دعا القرآن الكريم إلى التحلي بهذا الخلق العظيم، ينادي المؤمنين أن التزموا الصدق، وتجملوا بالصدق، وأقيموا على الصدق حياتكم، ويبين أن الصدق هو عنوان الإيمان، وروح الإسلام، وبدونه ينطفئ نور الحق المبين في الآفاق والأنفس.

١- ولهذا أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، مرشداً إياهم أن من لوازم الإيمان: التقوى، وأن التقوى تستلزم أن لا يكون أصحابها إلا على الصدق، ومع الصادقين، فقال لهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩].

قيل في معنى كونوا مع الصادقين: « وكونوا مع النبي ﷺ ومع الذين صدقت نيأئهم ، واستقامت قلوبهم وأعمالهم في الشدة والرخاء ». وقيل: « كونوا مع الصادقين في إيمانهم ومعاهدتهم لله ولرسوله على الطاعة، من قوله تعالى ﴿رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ .. وقيل: كونوا مثلهم في صدقهم وخلوص نيتهم »^(٢).

(١) انظر: خلق المسلم، لمحمد الغزالي: ص ٣٥.

(٢) انظر: محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، في تفسير الآية ١١٩ سورة التوبة.

وقال في تفسير المنار: «الصادقون هم المعتصمون بالصدق والإخلاص في جهادهم إذا جاهدوا ، وفي عهودهم إذا عاهدوا ، وفي أقوالهم ووعودهم إذا حدثوا ووعدوا ، وفي توبتهم إذا أذنبوا أو قصرُوا...»^(١).

وَمَنْ هُمُ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ مَعَهُمْ؟ لَا بَدَّ أَنْ نَعْرِفَهُمْ حَتَّى نَكُونَ مَعَهُمْ!^(٢).

فَقِيلَ: هُمُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، كَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقِيلَ: هُمُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَصْحَابُهُمَا كَمَا رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَالضَّحَّاكِ.

وَقِيلَ: هُمُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَمِرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، أَيْ الثَّلَاثَةُ الَّذِي خُلِفُوا، كَمَا رَوَى عَنْ السُّدِّيِّ.

وَقِيلَ: هُمُ الْمُهَاجِرُونَ الصَّادِقُونَ، كَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ.

وَقِيلَ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَالْمَعْنَى: كُونُوا مَعَ الْأَنْبِيَاءِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

وَقِيلَ: هُمُ مُؤْمِنُوا أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَمْرِهِمْ بِالْجِهَادِ وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْمَجَاهِدِينَ.

وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ اسْتَوَتْ ظَوَاهِرُهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ.

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا، ج ١١ ص ٥٨ .

(٢) راجع: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٥٥٩، تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٨٩، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٤، الدر المنثور ج ٧ ص ٥٨١، فتح القدير للشوكاني، ج ٣ ص ٣٣٢.

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: وهذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق في العقيدة والمخالفة في الفعل، وصاحبها يقال له الصديق كأبي بكر وعمر وعثمان ومن دونهم على منازلهم وأزمانهم.

وكل هذه الأقوال صحيحة في المراد بالصادقين، فكل صادق من أهل الإيمان والتقوى تشمله الآية الكريمة، والمؤمن التقي مطالب أن يكون مع كل مؤمن صادق صدق الله وصدق رسوله ﷺ.

ولكن! هل هؤلاء الصادقون موجودون في هذا الزمان وفي كل زمان حتى نبحت عنهم لنكون معهم؟ سؤال مهم يجيب عنه الإمام الرازي في التفسير الكبير قائلاً: «إنه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين، ومتى وجب الكون مع الصادقين فلا بد من وجود الصادقين في كل وقت»^(١).

٢- ويبيّن تعالى أن الإيمان لا يكون أصلاً إلا إذا بني على الصدق وجُفِيَ عن الكذب، ولا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر، فالمؤمن صادق، والكاذب منافق، وفي مقابلة تعاكس وتضاد بين الصدق والنفاق يقول تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٢٤].

فقسّم الناس - سبحانه وتعالى - إلى صادق ومنافق.

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ: «جعل المنافقون كأنهم قصّدوا عاقبة السوء، وأرادوها بتبديلهم، كما قصّد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم؛ لأنّ كلا

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الرازي، ج ١٦ ص ١٦٦.

الفريقَيْنِ مَسُوقٌ إِلَى عَاقِبَتِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، فَكَأَنَّهُمَا اسْتَوَيَا فِي طَلِبِهِمَا وَالسَّعْيِ لِتَحْصِيلِهِمَا»^(١).

والأهم في ذلك: أن ينتبه كل أحدٍ منا إلى هذه المقابلة التي تعيننا على اختيار من نكون معه من الصنفين، أنكون مع الصادقين أم نكون مع المنافقين، ولا شك أن العاقل لن يتردد في اختيار أهل الصدق ليكون معهم، ونبتذ أهل النفاق.

٣- وأخبر تعالى أن من صدقه عند عزم الأمور، كان له ذلك من أخير الخير، حيث يقول تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد : ٢١].

والأمر الذي عزم ههنا هو الأمر بالقتال، وعندئذ يظهر المنافق من الصادق، فأهل الصدق يظهرون الإيمان والطاعة، ويمتثلون الأمر بصدق وجدّ رضاء من قلوبهم التقية النقية الصافية من الارتياب والنفاق، بينما يظهر أصحاب القلوب المريضة التلجلج، والتردد، والخوف من الموت، وكراهية أوامر الله، والحرص على الحياة ولو على غير رضا الله تعالى، ولو صدقوا الله كأهل الإيمان لكان خيراً لهم.

٤- وجعل تعالى مكانة أهل الصدق في القرآن الكريم تالية لمكانة أهل النبوة والرسالات وأعلى من رتبة الصلاح والشهادة في سبيله، حين قال ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ وهؤلاء هم الفريق الأعلى ﴿وَحَسُنَ

(١) الكشف للزمخشري، ج ٣ ص ٩٤٤.

أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿[النساء: ٦٩].

وفي الآية « فضلُ ترغيبٍ في الطاعة، ومزيدُ تشويقٍ إليها، بيان أن نتيجتها أقصى ما تنتهي إليه همُّ الأمم، وأرفع ما يمتد إليه أعناق عزائمهم، من مجاورة أعظم الخلائق مقداراً وأرفعهم مناراً »^(١).
ومن الضروري الذي لا يغيب عن بال أحد؛ أن مقام النبوة لا سبيل لإدراكه، فلم يبق لطالب المعالي ومبتغي العلا من الجنة والطامع في رفقة خير الخلق وسادة البشر؛ إلا أن يطمح إلى المقام التالي، وهو مقام الصدق والصدّيقية، وهذا ممكنٌ متاحٌ بكرم الكريم وتوفيق الرحيم وعزم المريد الهميم، فدلّ أن القرآن بهذه الآية - مع ما فيها من تراغيب - يدعو إلى اكتساب الصدق لبلوغ مقام الصدّيقية!! فليسع الساعون إليه دوغماً تباطؤٍ أو تكاسل.

٥ - وفي معرض المدح لأنبيائه سادة الأبرار وقادة الأخيار، وفي معرض المنّ على عباده بأنّ من أرسلهم إليهم يدعونهم إلى الإيمان به والتوحيد له جلّ شأنه كُملّ، وأنهم اكتملوا جمالاً وبهاءً بحال الصدق؛ يصف رب العزة أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بالصدق :
فيقول في إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم : ٤١] ، ولقد كان إبراهيم عليه السلام صادقاً في إيمانه، صادقاً في يقينه، صادقاً في إسلامه لله، صادقاً في التزامه وامتناله لربه، صادقاً في عهده لله، صادقاً في محاجاته ودعوته، صادقاً في موالاته وبراءاته، إنه كان صديقاً نبياً. وقد شهد له القرآن بذلك كله..

(١) أبو السعود في تفسيره، ج ٢ ص ١٠٩.

- فعن صدقه في إيمانه قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠].

- وعن صدقه في يقينه قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥]. فأصبح من الموقنين حقاً يعلن بيقين ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٨ ، ٧٩].

- وعن صدقه في إسلامه لله قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : ١٣١].

- وعن صدقه في التزامه وامتناله لله قال تعالى ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٢٤].

- وعن صدقه في عهده لله قال تعالى ﴿ وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] وقد فعلا.

- وعن صدقه في محاجاته ودعوته قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] وقال تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٨٣].

- وعن صدقه في موالاته وبراءاته قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤]، وقال ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا

وَيَبْنِيكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴿[المتحنة : ٤]. فحَقُّ
له أن يكون صديقاً نبياً، صلى الله عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء أفضل
الصلاة وأتم التسليم.

ومن بعد إبراهيم عليه السلام يمتدح رب العزة نبيه إدريس عليه السلام فيقول فيه
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم : ٥٦].
ويعتدح نبيه إسماعيل عليه السلام فيقول فيه ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ
كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم : ٥٤].

ويشهد لنبي الله يوسف عليه السلام بالصدق بواقع الحال وشواهد الأحوال
وبما عُرف عنه من مواقف الصدق والنبل والشهامة والمروءة والصلاح
والإحسان!

فها هو صاحبه في السجن بما عرفه فيه من الصدق يشهد له بالصدق
يناديه: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف : ٤٦].
وها هي امرأة العزيز مع أنها التي تسببت في إيداعه السجن وحبسه
ظلماً وعدواً، تشهد ليوسف عليه السلام بالصدق تبرؤه عن كل رذيلة وفاحشة
معلنة خطأها وخطيئتها إنصافاً للصديق النبي يوسف عليه السلام فتقول:
﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف : ٥١].

- أمّا نبينا محمد ﷺ فكان أول الصادقين، وسيد الصادقين، وإمام
الصادقين، جاء بالصدق، ومشى بالصدق، وعاش بالصدق، ووالى
بالصدق، وعادى بالصدق، ولحق ربه في علاه بالصدق، فهو أصدق
الصادقين عليه الصلاة والسلام، قرنه ربه معه في صفة الصدق في قوله
تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿ [الأحزاب : ٢٢].

وإن كان الذي صدّقه وصدّق بما جاء به صديقاً فهو صديق الصديقين عليه الصلاة والسلام وقد قال تعالى شاكراً له وللصديق ﷺ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

وإن كان المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله هم الصادقون كما قال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؛ فإن نبينا الكريم ﷺ إذن هو أول الصادقين وإمام الصادقين وسيد الصادقين، لأن ذلك كله مبني على صدقه، فإنهم إن لم يوقنوا بصدقه ما آمنوا به وصدّقوه عليه الصلاة والسلام.

ولو لم يكن من ترغيب في القرآن الكريم إلا أن يدعوكم لتكون مثل الأنبياء في الصدق، وأن تتخلق بخلقهم لكان كافياً لكل مؤمن أن لا يكون إلا صادقاً.



دعوة السُّنَّة إلى الصدق

والرسول ﷺ دعا إلى الصدق كدعامة من دعائم الإيمان وثمره من ثمار التوحيد والإخلاص، يرغب المؤمن إلى التحلي به، والتزین بآثاره، والتمسك بأسبابه، ليكون في العالمين شامة ترمز إلى عظمة الدين الحق، وعلو المسلم الصادق.

١- فبدأ رسول الله ﷺ يدعو إلى الصدق ويأمر به من أوائل أيام دعوته في مكة، مما جعل أبا سفيان بن حرب - زعيم المشركين يومئذ - يحكي عن دعوة الرسول ﷺ لهرقل فيقول له: «ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة..»^(١).

٢- كما أنه ﷺ يدعو أصحابه وأمته من المؤمنين جميعاً إلى لزوم الاتصاف بالصدق والتحلي به، وأنه يسوق أصحابه والمتصفين به إلى الجنات العلا فيقول لهم آمراً في الحديث الصحيح: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب حديث أبي سفيان لهرقل، حديث رقم [٧]: ج ١ ص ٣١-٣٢ بفتح الباري.

يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: « قال العلماء: هذا فيه حثٌّ على تحري الصدق، وهو قصده، والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به، وكتبه الله لمبالغته صديقاً إن اعتاده، أو كذاباً إن اعتاده، ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى، وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم كما يوضع له القبول والبغضاء» اهـ^(٢).

٣- وَعَنْ أَوْسَطَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَجَلِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حِينَ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَقَامِي هَذَا عَامَ الْأَوَّلِ، ثُمَّ بَكَى أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ)^(٣).

٤- وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَرْغَبُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصِّدْقِ

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق، حديث رقم [١٠٥]:

ج ١٦ ص ٣٧٦، بشرح النووي، والبخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)، حديث رقم [٦٠٩٤]: ج ١٠ ص

٥٠٧، بفتح الباري، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، حديث رقم

[٤٩٨٩]: ج ٤ ص ٢٩٧. والترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في الصدق والكذب،

حديث رقم [٢٠٣٨]: ج ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم، ج ١٦ ص ١٦٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن برقم ٣٨٤٩، وأحمد في مسنده برقم ١٧، وصححه شعيب

الأرنؤوط. وابن حبان في صحيحه برقم ٥٧٣٤، والنسائي برقم ١٠٦٥٣.

ويُري أنه رابع خلق لو اجتمعت في المسلم فما عليه من الدنيا شيء، إذ بها تكتمل فيه خصال المروءة والاستقامة والورع والتقوى، فيقول عليه الصلاة والسلام: (أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة)^(١).

٥- ولَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (كل مخموم القلب صدوق اللسان) قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (التقيّ النقيّ لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد)^(٢).

٦- ويؤكد رسولنا ﷺ أن الصدق يجب أن يتحلّى به المسلم في كل أمر من أموره، عبادة أو عادة، تجارة أو إمارة، فينبه إلى ضرورته في البيوع والتجارات، فيقول في حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما).^(٣)

ويعلي الرسول الكريم ﷺ مقام التاجر إن كان صادقاً في تجارته ويبيعه، حيث جعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم ٦٦٥٢، ج ٢ ص ١٧٧، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٤٤٦٣ ج ٦ ص ٤٤٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم [٨٨٦]: ج ١ ص ٣٠١

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه باب الورع والتوقي، برقم ٤٢٠٦، وصححه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب البيوع، باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، برقم [٢١١٠، ٢١١١]: ج ٤ ص ٣٢٨ بفتح الباري. ومسلم، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، برقم [٤٧]: ج ١٠ ص ٤١٦ بشرح النووي.

والشهداء ، ترغيباً له على الصدق، ودعوة للأغنياء وأصحاب المال إلى التنزه عن أخلاق الفجار منهم، والتزام خلق الإسلام والتأدب بآدابه، فيقول ﷺ: (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين، والصديقين، والشهداء)^(١). ويستثني النبي ﷺ مَنْ صدق من التجار في تجاراته، ممن يُبعث يوم القيامة منهم فاجراً، فيقول ﷺ: (إن التجار يُبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله، وبرّ، وصدق)^(٢).

مقام الصدق عند العلماء

كذلك نبّه العلماء من السلف وغيرهم إلى مقام الصدق في الدين، يدلّون على حاجة كل مسلم له، وافتقار التزامه إليه، وأنه لن يكون مؤمناً خالصاً في قصده وتوجهه والتزامه؛ إلا إذا استقام على الصدق، وبه مشى، وعلى أسبابه عاش..

فيأخذ ابن عباس رضي الله عنهما من مشكاة النبوة ويقتبس من أنوار محمد ﷺ مبيناً أن الربح كل الربح في التخلق بالصدق: «أربع من كنّ فيه فقد ربح: الصدق، والحياء وحسن الخلق، والشكر»^(٣). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من كانت له عند الناس ثلاثة

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التغليظ في الكذب والزور ونحوه، حديث

رقم [١٢١٣]: ج ٣ ص ٥٠. وقال: هذا حديث حسن .

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التغليظ في الكذب والزور ونحوه،

برقم [١٢١٤]: ج ٣ ص ٥٠، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب التوقي في التجارة،

حديث رقم [٢١٤٦]: ج ٢ ص ٧٢٦. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) المستخلص في تزكية الأنفس، لسعيد حوى: ص ٢٦٩ .

وجبت له عليهم ثلاث: من إذا حدثهم صدقهم، وإذا اتتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفى لهم، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليهم ألسنتهم، وتظهر له معونتهم^(١).

وطاف ابن عمر رضي الله عنهما سبعا، وصلى ركعتين، فقال له رجل من قريش: ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن وخرجت. فقال ابن عمر: « أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً، ونحن خير منكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وإنجاز الوعد »^(٢).

ويقول بشر بن الحارث رحمه الله: « أهل الآخرة ثلاثة، عابد وزاهد وصديق، فالعابد يعبد الله مع العلائق والزاهد يعبد على ترك العلائق، والصديق يعبد على الرضا والموافقة، إن أراد أخذ الدنيا أخذها، وإن أراد تركها تركها »^(٣).

وقال محمد بن علي الكتاني رحمه الله: « وجدنا دين الله تعالى مبنياً على ثلاثة أركان: على الحق والصدق والعدل، فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب، والصدق على العقول »^(٤).

وقال بعضهم: « أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض: الإسلام الخالص عن

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح، ج ١ ص ٥٣، بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، ص ١٢٦.

(٢) المواضع السابقة نفسها.

(٣) الفوائد، لابن القيم: ص ١١٤.

(٤) المستخلص في تزكية الأنفس، ص ٢٦٩.

البدعة والهوى، والصدق لله تعالى في الأعمال، وطيب المطعم»^(١).
وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: «لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إلي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله»^(٢).
وقال ذو النون المصري رحمه الله: «الصدق سيف الله في أرضه ما وُضع على شيء إلا قطعه»^(٣).
وقال أحمد بن خضرويه رحمه الله: «من أحب أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق، فإن الله تعالى مع الصادقين»^(٤).
وربما كان هو منهم، قال عنه أبو حفص رحمه الله: «ما رأيت أحداً أكبر همّة ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه»^(٥).
وقال بعضهم: «من لم يؤدّ الفرض الدائم لم يُقبل منه الفرض المؤقت، قيل: وما الفرض الدائم؟ قال: الصدق»^(٦).
ولما قيل للقمان الحكيم: ما بلغ بك ما نرى؟ - يريدون الفضل وما رُزق من الحكمة - فقال لقمان عليه السلام: «صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني»^(٧).
وقيل: أوحى إلى نبي الله داود عليه السلام: «يا داود! مَنْ صَدَقَنِي فِي

(١) المرجع نفسه.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم، ج ٢ ص ٢٨٩.

(٣) الرسالة القشيرية، ص ٢١٣.

(٤) الرسالة القشيرية نفسها، ص ٢١١.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٤١٠.

(٦) المدارج نفسه ص ٢٩٠.

(٧) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب، برقم [١٧]: ج ٢ ص ٨٢٨.

سريرته؛ صدقته عند المخلوقين في علانيته»^(١).

وقيل: « عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك »^(٢).

قال محمود الوراق رحمه الله:

أصدق حديثك إن في الصدق الخلاص من الدنس
ودع الكذب لشأنه خير من الكذب الخرس
وقال منصور الفقيه رحمه الله:

الصدق أولى ما به دان امرؤ فاجعله دينا
ودع النفاق فما رأيت منافقاً إلا أهيناً^(٣)

حكم الصدق وحكم الكذب

والصدق الذي هذا مكانه ومقامه لا بد أن يكون واجباً في الدين ملزماً للمؤمنين، ولا يجوز غيره من الكذب ونحوه:

فالله تعالى أمر بأن يكون المؤمنون مع أهل الصدق فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وهذا أمر، والأمر للوجوب والإلزام ..

والرسول ﷺ أمر بالتزام الصدق والاتصاف به، وذلك في حديث أبي سفيان بن حرب لهرقل فقال: « ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف

(١) الرسالة القشيرية، ص ٢١٣.

(٢) مدارج السالكين، ج ٢ ص ٢٩٠، والرسالة القشيرية، ص ٢١٤.

(٣) الآداب الشرعية ج ١ ص ٥٣، وبهجة المجالس وأنس المجالس، ص ١٢٦.

والصلة»^(١). والأمر دليل الوجوب والإلزام .

وفي حديث الصحاح والسنن يقول الرسول ﷺ : (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، و ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)^(٢) والخطاب بعلى في معرض التكليف : تكليف بالإلزام والإيجاب.

وفي المقابل نجد أن الله تعالى حرّم غير الصدق الذي هو الكذب، جازماً وجوب الصدق، فقال ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ١٥] ، ومعنى ذلك أنه لا يجوز غير الصدق.

كما حذّر النبي ﷺ من الكذب فقال: (وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ما يزال الرجل يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)^(٣).

بل إن أبغض خلق إلى رسول الله ﷺ هو الكذب، فمما أخرجه أحمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت (ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب ، ما أطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة)^(٤).

ونفى النبي ﷺ عن المؤمن أن يتصف بغير الصدق وهو الكذب فلما سئل: (أ يكون المؤمن جباناً ؟ قال نعم . ف قيل له : أ يكون المؤمن

(١) سبق تحريجه.

(٢) سبق تحريجه .

(٣) سبق تحريجه

(٤) مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١٥٢ .

بخيلاً ؟ قال: نعم ، فقليل له: أيكون المؤمن كذاباً . قال: لا (١).
 وأيضاً مما يدعو إلى وجوب الصدق ولزوم التحلي به، أمور، منها:
 [١] العقل: فليس من عاقل يرى أن الصدق مذموم، أو غير محتوم،
 بل كل صاحب عقل سوي يدعو إلى التزام الصدق في حياته، ويسعى
 للالتزام به في أموره وعلاقاته، كما أنه ينفر من الكذب والكاذبين دالاً
 على أن الكذب قبيح، والصدق حسن.

[٢] الفطرة: والفطرة السوية لا شك يدعو إلى التخلق بالصدق
 على كل حال إذ الفطر لا يمكن أن تخالف أو تعاكس ما تقرره الشرائع
 المحفوظة، وقد قررت أن الصدق واجب مطلوب.
 ولهذا كان الصدق مصنفاً في كرم الطباع باتفاق العقلاء في العالمين،
 وقد قيل في ذلك:

والصدق من كرم الطباع وطالما
 جاء الكذب بخجلة ووجوم

[٣] المروءة: لأنها مانعة من الكذب، وباعثة على الصدق، والناس
 من أهل الصلاح والعقل يحكمون على غير الصادق ومن يمشي بينهم
 بالكذب على أنه يخرم به مروءته (٢).

ولقد قال طرفة بين العبد في الجاهلية:
 والصدق يألفه الكريم المرتجى
 والكذب يألفه الدنيء الأخيبُ

(١) أخرجه مالك في الموطأ مرسلاً ، كتاب الكلام ، باب ما جاء في الصدق والكذب، برقم

[١٩]: ج ٢ ص ٨٢٨، وقال ابن عبد البر: هو حديث حسن مرسل. اهـ .

(٢) انظر: الصدق والصادقون في القرآن العظيم والسنة النبوية، أحمد خليل جمعة: ص ٣٥-٣٦ .

إذن لا يجوز للمسلم إلا أن يكون صادقاً، فلا يجوز له أن يكذب إلا في حالات :

منها: للإصلاح بين الناس .. وفي الحرب .. وفي حديث الرجل امرأته والمرأة زوجها، كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيُنمّي خيراً أو يقول خيراً)^(١) . وعند مسلم قالت - أي أم كلثوم راوية الحديث -: « ولم أسمع به يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها »^(٢) .

وقد تعتري الكذب الأحكام الشرعية الخمسة :

فقد يكون الكذب واجباً، مثاله : إذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وسأل منه وجب الكذب بإخفائه .
وقد يكون مندوباً: كالكذب لإرهاب العدو .
وقد يكون مكروهاً: كالكذب لجبر خاطر الوالد أو خاطر الزوجة .
وقد يكون مباحاً: كالكذب لإصلاح ذات البين ..

(١) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ، حديث رقم [١٠١] : ج ١٦ ص ٣٧٣ . والبخاري ، كتاب الصلح ، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ، حديث رقم [٢٦٩٢] : ج ٥ ص ٢٩٩ بفتح الباري . والترمذي كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في إصلاح ذات البين ، حديث رقم [٢٠٠٤] : ج ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكذب ، وبيان المباح منه ، حديث رقم [١٠١] : ج ١٦ ص ٣٧٣ ، بشرح النووي .

ومن المعلوم أن الكذب أصله التحريم.^(١)

وقد نظم هذا بعضهم فقال :

لخمسة ينقسم الكذب فَمَا
لا نفع شرعاً فيه قطعاً حُرْمَا
وما لوالد لجبر خاطره
أو خاطر الزوجة دعه فِكْرُه
وهو لإرهاب العدو يُنْدَبُ
للمسلمين إنْ هُمُو تَاهِبُوا
وإنْ تَخَلَّصَ مسلماً أو ماله
به فعلت واجباً تُجْزَى لَهُ
ولصلاح بين ناسٍ قد أبيعُ
وقيل إنَّ الكذب كله قبيحٌ^(٢).

بينما يذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى أنه لا رخصة في الكذب،
وأن الكذب حرام أبداً، وكان رضي الله عنه فيما ذكر عنه يقرأ ﴿ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ويتأوله: أن ذلك نهْيٌ من الله عن
الكذب. وكان يقول: إن الكذب لا يحل منه جد ولا هزل ، اقرءوا إن
شئتم : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين) قال : فهل

(١) راجع في حكم الكذب : قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، لعز بن عبد السلام : ج ١ ص

١١٣ ، الأذكار للنووي : ص ٣٣٥ ، رياض الصالحين للنووي : ص ٣٨٢ ، آفات اللسان ،

للمشوخي : ص ٦٧ - ٦٨ ، سد الذرائع وأثره في الفقه الإسلامي ، للمؤلف : ص ١٢٩

- ١٣٠ ، مخطوط .

(٢) انظر : آفات اللسان ، للمشوخي : ص ٦٧ - ٦٨ .

تروون في الكذب رخصة؟^(١).

وسئل شريك بن عبدالله رحمه الله تعالى فقيلاً له : يا أبا عبدالله ! رجلٌ سمعته يكذب متعمداً أأصلي خلفه؟ قال: لا^(٢).

مع أن كثيراً من العلماء سلفاً وخلفاً ذهبوا إلى أن الكذب تدخله الرخصة، قال ميمون بن مهران رحمه الله: الكذب في بعض المواطن خيرٌ من الصدق، أرأيت لو أن رجلاً سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل داراً فأنتهى إليك فقال: أرأيت فلاناً؟ ما كنت قائلاً؟ أأست تقول: لم أراه! وما تصدق به، وهذا كذب واجب^(٣).

* * *

كذلك قد تعترى بعض الأحكام الصدق أيضاً:

- فالصدق أصله الوجوب، والتزامه في كل الأحوال لازم، إلا أنه في الحالات يستثنى فيها حكم الوجوب، فينقلب حكم الصدق بعد أن كان واجباً يصير مكروهاً أو حراماً، وبيان ذلك على ما يلي:

أولاً: الحالة التي يُكره فيها الصدق:

من الحالات التي يكون فيها الصدق مكروهاً: أن يكتر الحلف في البيع لينفق سلعته، فيحلف أنه اشتراها بكذا، وأنفق عليها كذا، وأن سلعته جيدة، وأنها مفيدة ونحو ذلك، وهو في ذلك كله صادق لا يكذب،

(١) راجع تفسير الطبري، ج ١٢ ص ٦٨ .

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ج ٨ ص ٢٨٩ .

(٣) المستخلص، ص ٤١٠ .

أما إذا كان كاذباً فيما يحلف فهذا حرام.

قال النووي رحمته الله في الأذكار: « فصل: يكره إكثار الحلف في البيع ونحوه وإن كان صادقاً، رويناه في صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه يَنْفَقُ ثم يَمَحُقُ) اهـ^(١).

أما إن كان كاذباً في حلفه فقد وقع في حرمتين: حرمة الكذب، وحرمة غشّ المسلم، وفي حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعط، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧]^(٢).

ثانياً: الحالات التي يحرم فيها الصدق:

وهناك حالات قد يحرم فيها الصدق، ولا يعني أن الكذب فيها يجوز، وكلها محرمات لا يجوز الوقوع فيها لا بصدق ولا بكذب، قال الماوردي رحمه الله: « واعلم أن من الصدق ما يقوم مقام الكذب، في القبح والمعرة، ويزيد عليه في الأذى والمضرة، وهي الغيبة والنميمة والسعاية^(٣). ونزيد مع الثلاثة المراء، فيكون الصدق مذموماً في هذه

(١) الأذكار النووية، ص ٣٦٧-٣٦٨، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٤٢١٠،

والنسائي برقم ٤٤٦٠، وأحمد في المسند برقم ٢٢٥٩٧ وغيرهم .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٢٠٨٨،

(٣) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، ص ٣٢٩.

الحالات الأربع.

١- السعاية:

والسعاية هي النيمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية^(١).

رُوي عن علي رضي الله عنه أن رجلاً سعى إليه برجل، فقال له: يا هذا! نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناًك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك! فقال: أقلني يا أمير المؤمنين^(٢).

وقريب من ذلك ما رُوي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً^(٣).

وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال: ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم؟^(٤).

وقال مصعب بن الزبير رضي الله عنه: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ج ٣ ص ١٥٧.

(٢) الإحياء نفسه

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦.

(٤) المصدر السابق

فأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي، فلو كان صادقاً في قوله لكان لئماً في صدقه، حيث لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة^(١).

٢- النميّة:

كذلك النميّة التي هي أخت السعاية، لا تجوز لا بصدق ولا بكذب، والصدق فيها مذموم محرم.

وقد روي أنّ سليمان بن عبد الملك رحمه الله كان جالساً وعنده الزهري رحمه الله، فجاءه رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت في وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت، فقال سليمان: إنّ الذي أخبرني صادق، فقال له الزهري: لا يكون النمام صادقاً، فقال سليمان: صدقت ثم قال للرجل: اذهب بسلام^(٢).

٣- الغيبة:

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتْهُ»^(٣).

وعن عائشة بنت طلحة بن عبيد الله أنها دخلت على عائشة زوج

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) إحياء علوم الدين نفسه، ج ٣ ص ١٥٦.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٦٧٥٨، وأبو داود برقم ٤٧٧٦، والترمذي برقم ١٩٣٤، وأحمد برقم ٧١٤٦، وابن حبان برقم ٥٧٥٩.

النبي ﷺ وعندها أعرايية، فخرجت الأعرايية تجرّ ذيلها، فقالت عائشة بنت طلحة: (ما أطول ذيلها) فقالت عائشة رضي الله عنها: (اغتبتها أدركها تستغفر لك)^(١).

قال الماوردي رحمه الله: «وربما عذر المغتاب نفسه بأنه يقول حقاً ويعلن فسقاً، ويستشهد بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة الإمام الجائر وشارب الخمر والمعلن بفسقه»^(٢)، فيبعد من الصواب ويجانب الأدب ؛ لأنه وإن كان بالغيبة صادقاً؛ فقد هتك سترًا كان بصونه أولى، وجاهر من أسر وأخفى. وربما دعا المغتاب ذلك إلى إظهار ما كان يستره، والمجاهرة بما كان يضمّره، فلم يفد ذلك إلا فساد أخلاقه من غير أن يكون فيه صلاح لغيره»^(٣).

فبان أنّ الغيبة حالان:

الأول: اغتياب بما في الذي اغتیب ، وهذا في حقيقته صدق إذ المغتاب لم يكذب.

الثاني: اغتياب بغير الذي فيه، وهذا كذب. وكلا الاغتياب محرم

(١) البيهقي في شعب الإيمان، برقم ٦٣٤٤.

(٢) أخرج البيهقي في السنن الكبرى السنن الكبرى للبيهقي (١٠ / ٢١٠) برقم ٢١٤٤٣ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ». وهذا ليس بالقوى والله أعلم. وفي شعب الإيمان (٩ / ١٢٧) برقم ٦٣٧٤ عن سفيان بن عيينة انه قال: ثلاثة ليست لهم غيبة : الإمام الجائر ، والفاسق المعلن بفسقه، والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته. وفي المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٤ / ١٩٦) برقم ١٣٤٧ قَالَ الْحَسَنُ : " لَا غَيْبَةَ لِثَلَاثَةٍ : فَاسِقٍ مُّجَاهِرٍ بِالْفِسْقِ ، وَذِي بَذْعَةٍ ، وَإِمَامٍ جَائِرٍ . فلم نقف على الخبر الذي أورده الماوردي أعلاه .

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٣٢٩ _ ٣٣٠.

مذموم، سواءً أكان فيما ذكره صادقاً، أم كان كاذباً، والاغتياب بصدق مجرد غيبة، والاغتياب بكذب غيبة وبهتان، نعوذ بالله من ذلك كله.

٤- المراء:

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ ، حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُرَاحَةِ ، وَيَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا)^(١).

قال أهل العلم: والمراء ولو بصدق يسبب أربعة أمراض قلبية:

أولاً : يفتن القلب.

ثانياً : ينبت الضغينة .

ثالثاً : يُقَسِّي القلب.

رابعاً : يرقق الورع في المنطق والعمل.

قال خالد بن يزيد رحمته الله: « إذا كان الرجل ممارياً لجوجاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته »^(٢).

فهذه الأمور الأربعة - إِدْنٌ - لا يجوز فيها صدق ولا كذب، فمن

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم ٨٦١٥، والطبراني في مسند الشاميين، برقم ٣٤٦٧، وفي المعجم

الأوسط برقم ٥١٠٣ وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن مكحول إلا منصور بن أذين

تفرد به عبد العزيز بن أبي سلمة، قلت: ويشهد له أحاديث كثيرة منها: حديث أحمد: لا

يؤمن العبد حتى يترك المراء وإن كان محققاً، وحديث ابن أبي الدنيا: لا يستكمل عبد حقيقة

الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محققاً، وحديث أبي منصور الديلمي: ست من كن فيه بلغ

حقيقة الإيمان، ومنها: وترك المراء وهو صادق، وحديث الترمذي: ما ضلّ قوم إلا أوتوا

الجدل بعد هدى كانوا عليه، وصححه، فالخير بشواهد حسن لغيره.

(٢) الأخوة أيها الإخوة، ص ٦٧. الشاملة.

صدق في غيبته أو نعيمته أو سعايته أو في المراء فهو مذموم.

درجات الصدق ومراتبه

وأصحاب الصدق على رتب ثلاث: صادق وصدوق وصدّيق!

الصادق: وهو الذي غلب عليه الصدق واتصف به.

الصدوق: الذي يكثر من الصدق ويتحاشى الكذب .

الصدّيق: الذي أقام أمره كله على الصدق حالاً ومقالاً ونيّة،

فالصدّيقية كمال الانقياد مع كمال الإخلاص، وهو الذي نفسه قريبة المأخذ من نفس النبي على سائرهم الصلاة والسلام، كالكبريت بالنسبة إلى النار ، فكلما سمع الصديق من النبي ﷺ خبراً وقع في نفسه موقع اليقين والجزم.

فأعلى مراتب الصدق الصدّيقية، ومنهم :

مريم بنت عمران عليها السلام، فقد قال الله عنها: { ما المسيح

ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة } ^(١)

ومن الصدّيقين أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد أنزل الله تعالى

فيه قوله تعالى ﴿ والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون ﴾ ^(٢).

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « والذي نفسي بيده، إن

(١) سورة المائدة : ٧٥ .

(٢) سورة الزمر : ٣٣ .

الله سَمَّى أبابكر ري الله عنه في السماء صديقاً» ^(١).
وأجمع المسلمون على تسمية أبي بكر الصديق رضي الله عنه
صديقاً، فهو صديق الأمة بلا نزاع من أحد منهم ^(٢).
وفي القرآن صنف من الصديقين جاء ذكرهم في سورة الحديد عند
قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ^(٣).. أي
إيماناً كاملاً على يقين وجزم لا يتخلله شك أو ارتياب أو انقطاع أو فترة..
قال مقاتل ابن حيان رحمه الله: «الصادقون هم الذين آمنوا بالرسول
ولم يكذبوهم طرفه عين، مثل مؤمن آل فرعون، وصاحب آل ياسين،
وأبي بكر الصديق، وأصحاب الأخدود» ^(٤).
وقد عدّ الضحاك رحمه الله الصديقين من هذه الأمة ثمانية، هم :
أبوبكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، قال
الضحاك: وتابعهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - ألحقه الله بهم لما
صدق نبيّه ﷺ . ^(٥)

ومن علامات الصديق:

١ - أن يكون من أعبّر الناس للرؤيا ، وذلك لما جُبل عليه من تلقي
الأمور الغيبية بأدنى سبب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلب التعبير من
الصديق أبي بكر رضي الله عنه، وكما كان يوسف عليه السلام أعبّر

(١) انظر: صلاح الأمة في علو المهمة : ج ٥ ص ٣٥،

٢ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): م ٨ ج ١٥ ص ٢٢٨ .

(٣) سورة الحديد : ١٩ .

(٤) تفسير القرطبي : م ٩ ج ١٧ ص ٢٢٩ .

(٥) المصدر السابق نفسه.

الناس للرؤيا، وقد كان قومه يستعبرون الرؤى به عليه السلام ، يقولون له : ﴿يوسف أيها الصديق! أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ الآية^(١)

٢ - أن يكون أول الناس إيماناً^(٢) ..

٣ - أن لا يحتاج لئن يؤمن إلى معجزة ، فهو يؤمن بغير معجزة .^(٣)

٤ - أن يتلقى تعاليم الله وأخباره بتصدق كامل لا تردد فيه ولا توقف، كما كان حال الصديقة مريم بنت عمران عليها السلام ، وقد قال تعالى في ذلك عنها ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾^(٤)

٥ - أن يتلقى كل أقوال النبي وأفعاله ﷺ عن تصديق متيقن لا ارتياب معه ولا تشكك .. كالذي وقع في صلح الحديبية بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما قال عمر: يا أبا بكر! ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال عمر: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال عمر: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال الصديق: يا ابن

(١) سورة يوسف : ٤٦ .

(٢) ذكرها الدهلوي في حجة الله البالغة: ج ١ ص ٢٤٨، وكأنه فصل هذه العلامة على حال أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) راجع هذه العلامات في: حجة الله البالغة للدهلوي: ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية : ص ٥٥، ط. المكتب الإسلامي ١٣٩٧ هـ .

(٤) سورة التحريم، الآية الأخيرة.

الخطاب! إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً..»^(١).

وهكذا نجد أنّ الصديق رضي الله عنه قد تلقى فعل النبي ﷺ في الحديبية عن تصديق متيقن من أنه فعل نبي مرسل يأمره ربه فيطيع ولن يضيعه ربه أبداً ما دام قد فعل ما أمره به، بينما عمر رضي الله عنه يعترض ظناً منه أنه اجتهد من رسول الله ﷺ.

ولهذا يشترك مع الصديقين، الأنبياء، فيوسف صديق، وإبراهيم صديق، وإدريس صديق ورسولنا ﷺ صديق، صلوات رب وسلامه عليهم أجمعين.

* * *

ما قيل في حقيقة الصدق:

هذا الخلق الذي دعا إليه القرآن الكريم، ورغب إليه نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ونبّه إليه سلف الأمة الصالحون الأخيار، ما حقيقته عند أهل العلم؟ وماذا قالوا عنه؟. ذلك ما سنعرضه في هذه الفقرة بتوفيق الله تعالى.

❧ قيل: « لصدق هو موافقة السر النطق ».

❧ وقيل: « هو استواء السرّ والعلانية ».

❧ وقيل: « كلمة الحق عند من تخافه وترجوه ».

❧ وقيل: « الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة ».

(١) راجع قصة الحديبية في: صحيح البخاري بفتح الباري: ج ٧ ص ٤٣٩، صحيح مسلم

بشرح النووي: ج ١٢ ص ٣٥٢ - ٣٥٤، سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٢٢، زاد

المعاد، لابن القيم: ج ١٢٢ - ١٢٧، الرحيق المختوم للمباركفوري: ص ٣١٦ - ٣١٧.

« قال عبد الواحد بن زيد رحمته الله: « الصدق الوفاء لله عز وجل بالعمل ».

« وقال محمد بن إسحاق الواسطي رحمته الله: « الصدق صحة التوحيد مع القصد ».

« وقال ذو النون المصري رحمته الله: « الصدق سيف الله في أرضه ما وضع على شيء إلا قطعه ».

« وقال أبو علي الدقاق رحمته الله: « الصدق أن تكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما تكون ».

« وقال النقاد رحمته الله: « الصدق منع الحرام من الشدق ».

وهذا المعنى يجمع أكل الحرام وقول الحرام، ومن تمكن من منعهما من نفسه فلا شك قد نجا وفاز، وتحقق بالصدق.

هذا عن الصدق وحقيقته، فما حقيقة الصادق المتصف بالصدق؟.

« قال أبو سعيد القرشي رحمته الله: « الصادق هو الذي يتهيا له أن يموت، ولا يستحيي من سره لو كشف ».

« وقال إبراهيم الخواص رحمته الله: « الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه ».

« وقال الحارث المحاسبي رحمته الله: « الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق، من أجل صلاح قلبه، ولا يجب اطلاع الناس على مثاقيل الدر من حسن عمله، ولا يكره أن يطلع الناس على السوء من عمله، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم،

وليس هذا من أخلاق الصديقين»^(١).

وإن كان هذا المعنى يتخلف في مواطن الشبهة، فإن المسلم يستحب له أن يدفع الشبهة عنه، كما أنه يستحب له أن يخفي بلاءه وسوء أفعاله ولا يشيعها.

وقال ابن القيم رحمه الله: « وفي هذا نظر، لأن كراهته لاطلاع الناس على مساوئ عمله من جنس كراهته للضرب والمرض وسائر الآلام، وهذا أمر جبلي طبيعي، ولا يُخرج صاحبه عن الصدق، لا سيما إذا كان قدوة متبعاً، فإن كراهته لذلك من علامات الصدق، لأن فيها مفسدتين: مفسدة ترك الاقتداء به، واتباعه على الخير وتنفيذه، ومفسدة اقتداء الجاهل به فيها، فكراهيته لاطلاعهم على مساوئ عمله لا تنافي صدقه، بل قد تكون من علامات صدقه »^(٢).

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: « لو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه ما نطق به لسانه ».

وقال أيوب السخيتاني رحمه الله: « والله ما صدق عبد إلا سره أن لا يُشعرَ بمكانه »^(٣).

وجمع الإمام أبو القاسم الجنيد رحمه الله حقيقة الصدق في عبارة لطيفة قال فيها: «حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا

(١) الرسالة القشيرية، ص ٩٧ .

(٢) مدارج السالكين، ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٠ .

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي، ج ٣ ص ٢٩٤ .

الكذب»^(١).

وهذا الكلام يصدق في الصدق الكامل، وهو أعلى مراتب الصدق، ولقد وقع للصادقين مواقف لا ينجيهم فيها إلا الكذب، فيصدقون فينجيهم الله بالصدق، ومن هذا:

١- إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

فقد رأى إبراهيم النبي ﷺ في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل، فأخبره الخبر، فعلم إسماعيل أنه وحيٌ يجب الامتثال له، فقال لأبيه: ﴿ افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ فوعده، ووفى ما وعد، ولم يتردد، أو يتراجع، أو يخاف أو يهرب، مع أن الأمر جدٌّ، وهو مقتول فيه، ولكن الله تعالى ينجيه ويعفيه من البلاء المبين بفضلته تعالى وكرمه ومنه، لما وعد فصدق ووفى، وفي هذا قول الله تعالى ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال يا أبت أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتلّا للحجين. وناديناها أن يا إبراهيم. قد صدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا هو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم ﴾^(٢).

٢- ربعي بن حراش والحجاج:

كان ربعي بن حراش التابعي الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد اشتهر بين قومه أنه

(١) راجع هذه النقول والأقوال في: مدارج السالكين، ج ٢ ص ٢٨٥-٢٨٩، الرسالة القشيرية،

ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) سورة الصافات: ١٠٢-١٠٦.

لم يكذب كذبة قط^(١)، وكان له ولدان قد خالفا الحجاج بن يوسف وهربا خوفاً من بطش الحجاج، وكان معلوماً أنّ حكم الحجاج على أمثالهما القتل لا غير، ثم رجعا ذات ليلة خفية ودخلا بيت ربعي رحمهم الله تعالى، فأتى رجل من رجال الحجاج إلى الحجاج فقال له: إن ربعي بن حراش زعموا لا يكذب، وقد قدم ولداه عاصيين. فبعث إليه الحجاج، فقال: ما فعل ابنك؟ فقال ربعي: هما في البيت، والله المستعان، فقال له الحجاج بن يوسف: هما لك لصدقك، وأعجبه صدقه.^(٢)

ومعلوم أن الحجاج بن يوسف ما كان ليترك ابنا ربعي إلا أن يقتلهما طالما قد أخبر أنهما قدما عاصيين، ولكن الله تعالى نجاهما بفضلته وكرمه، لصدق أبيهما، فهنا صدق ربعي في موطن لا يُظنُّ أنه لا ينجيّه فيه إلا الكذب، وقد نجّا الله ولديه بصدقه.

٣- صاحبنا ابن الأشعث مع الحجاج:

أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهما، فقال أحدهما: إنّ لي عندك يداً، قال: وما هي؟ قال: ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددت عليه، فقال: ومن يشهد لك؟ قال: صاحبي هذا! فسأله فقال: نعم! فقال: ما منعك أن تفعل كما فعل؟ قال: بغضك، قال: أطلقوا هذا لصدقته، وهذا لفعله. فأطلقوهما^(٣).

فالذي يُظنُّ أن يكذب في هذا الموطن يستعطف به السفّاح، وهو قد

(١) انظر: تهذيب الكمال للحافظ المزي، ج ٩ ص ٥٦.

(٢) تهذيب الكمال نفسه، والسير، ج ٤ ص ٣٦٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٩ ص ١٤٥.

أوشك على أن يُقتل، ولكنه أثر الصدق فنجاه الصدق في موطن لا ينجيه فيه إلا الكذب، رحمة الله تعالى عليه وعلى سائر الصادقين.

٤- أبو عمرو الزجاجي:

وحكي عن أبي عمرو الزجاجي رحمته الله أنه قال: «ماتت أمي، فورثت منها داراً، فبعتها بخمسين ديناراً. وخرجت إلى الحج، فلما بلغت باب استقبلي من واحد القناينة وقال: ما معك؟ فقلت في نفسي: الصدق خير. ثم قلت: خمسون ديناراً. فقال: ناولنيها. فناولته الصرة، فعدّها؛ فإذا هي خمسون ديناراً. فقال: خذها؛ فلقد أخذني صدقك. ثم نزل عن الدابة، وقال: أركبها. فقلت: لا أريد! فقال لابد، وألح عليّ، فركبتها. فقال: وأنا على أثرك. فلما كان العام المستقبل لحق بي، ولازمي حتى مات^(١).

٥- عبد القادر الجيلاني وقطاع الطريق:

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمته الله : بنيت أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين ديناراً وعاهدتني على الصدق، ولما وصلنا أرض همدان؛ خرج علينا عرب، فأخذوا القافلة، فمرّ واحد منهم وقال : ما معك؟ . قلت : أربعون ديناراً، فظنّ أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال : ما معك؟ . فأخبرته. فأخذني إلى أميرهم، فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟. قلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون

(١) الرسالة القشيرية، ص ٢١٢.

عهدها، فصاح أميرهم باكياً، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله!! ثم أمر بردّ ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تأب لله على يدك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعاً^(١).

وهنا لم ينجه الله فحسب! بل أنجاه الله، وأنجى ماله، وأنجى معه القوم المجرمين قطاع الطريق ممن يروعون الآمنين المسلمين، بفضل الله تعالى وكرمه ومنه، لأنه صدق ووفى ما عاهد به أمه، والله الحمد والمئة.

٦- فرح ود تكتوك والمطلوب لثأر:

ومما يذكر أن رجلاً في إحدى قرى سنار على النيل الأزرق ممن كان مطلوباً في ثأر طورد ليقتل ثأراً، فهرب ولحق بالشيخ فرح ود تكتوك رحمته الله في مزرعته، فقال له: يا شيخ فرح أخفني فإن الناس يطلبون قتلي. فقال له الشيخ: اختف في كومة القصب. فجاء الطالبون يسألون الشيخ فرح: هل رأيت فلاناً؟ فقال لهم الشيخ: نعم! هو تحت كومة القصب. فظنوا أن الشيخ يهزأ بهم، فانصرفوا عنه، فخرج الرجل فقال للشيخ: تخفني وتخبر عني؟ فقال له الشيخ: يا بُني! إن لم ينجك الصدق فلن ينجيك الكذب^(٢).

٧- حبيب العجمي والحسن البصري:

وقصة الشيخ فرح ود تكتوك تُشبه قصة حبيب العجمي مع الحسن

(١) صلاح الأمة، نفسه.

(٢) هذه من السماعات المشهورة عندنا، وللشيخ فرح ود تكتوك حكم وأمثال ومواقف تُحكى وتروى [وعبارته بالعامية: الصدق لو ما بنجيك، الكذب ما بنجيك].

البصري رحمهم الله تعالى.

أتى الحسن البصري رحمه الله أبا محمد حبيب العجمي في بيته هارباً من الحجاج وشرطه، فقال له الحسن : يا أبا محمد! احفظني من الشرط على أثري، فقال له حبيب العجمي: استحييت لك يا أبا سعيد! ليس بينك وبين ربك من الثقة ما تدعوه؛ فيسترك من هؤلاء؟، ادخل البيت، فدخل، ودخل الشرط على أثره، فقالوا: يا أبا محمد! دخل الحسن ها هنا، قال: بيتي فادخلوا، فدخلوا فلم يروا الحسن في البيت، فذكروا ذلك للحجاج فقال : بلى، كان في بيته، ولكن الله طمس أعينكم فلم تروه.

وكان حبيب العجمي رحمه الله معروفاً بصدق اليقين، تميز بذلك حين تميز غيره بأمور، يروي المعتمر بن سليمان عن أبيه أنه قال: « ما رأيت أحداً قط أعبد من الحسن، وما رأيت أحداً قط أورع من محمد بن سيرين، وما رأيت أحداً قط أزهد من مالك بن دينار، ولا رأيت أحداً قط أخشع لله من محمد بن واسع، ولا رأيت أحداً قط أصدق يقينا من حبيب أبي محمد»^(١). رحمة الله تعالى عليهم جميعاً.

فهذه مواقف ينجي الله فيها أهل الصدق في مواطن الظن فيها أن لا ينجي إلا الكذب، ولكن الله بسبب الصدق ينجيهم.

ولكن ليس يعني هذا أنه يجب الصدق في مواطن الهلاك مما يظن غالباً أو يُعلم أن الصدق فيها مهلكة، وقد رخص الله تعالى في مثل هذه المواطن أن يُترك الصدق، ولكن من صدق مع الله فالتزمه في كل موقع

١ راجع: تهذيب الكمال للحافظ المزي، ج ٥ ص ٣٩٠-٣٩١.

وموطن وحال مهما كان فقد أخذ بالعزيمة وهو الأصل، ومن ترخص فيها فلا جناح عليه، ومعلوم أن من اضطر رخص له النطق حتى بكلمة الكفر مع اطمئنان القلب على الإيمان، والقاعدة القرآنية تقول: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]. والقاعدة الفقهية تقول: [الضرورات تبيح المحظورات].

* * *

مجالات الصدق ومحاله

وبعد هذا لا بد أن يعرف المسلم المجالات والمحال التي يجب أن يلتزم فيها الصدق فما هي هذه المحال؟..

١ - الصدق في الأقوال: وهو استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

٢ - الصدق في الأعمال: وهو استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد.

٣ - الصدق في الأحوال: وهو استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة..

٤ - الصدق في الطلب والإرادة: وهو استواء النية والإرادة على المطلوب.

٥ - الصدق في الوعد: وهو استواء القبول والامتنال في الأداء.

أما الصدق في الأقوال : فلأن الكذب في الحديث من صفات النفاق وعلاماته ، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان)^(١) .. ولذلك شهد الله على المنافقين بالكذب فقال ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٧].

وصدق الحديث واجب على كل حال ، في حال الجدد ، وحال المزاح ، وفي مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال (لا يؤمن العبد بالإيمان كله ، حتى يترك الكذب في المزاح)^(٢).

وواجب مع كل شخص ، ومهما كان هذا الشخص ومكانه وعلمه وفضله ، أو حقارته أو وضاعته ، حتى مع الأطفال والصبيان ، وفي المسند عنه ﷺ (من قال لصبي تعال هاك ، ثم لم يعطه ؛ فهي كذبة)^(٣).

ووصى نبي الرحمة ﷺ شداد بن أوس رضي الله عنه يقول له: (يا شداد بن أوس! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة ، فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم! إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسألك من خير

(١) متفق عليه : البخاري كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، حديث رقم [٣٣] : ج ١ ص ٨٩

، بفتح الباري ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، حديث رقم [١٠٧] : ج ٢ ص ٢٣٥ ، بشرح النووي .

(٢) مسند أحمد : ج ٢ ص ٣٥٢ ، ٣٦٤ .

(٣) مسند أحمد : ج ٢ ص ٤٥٢ . وعند أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في التشديد في الكذب ، برقم [٤٩٩١] : ج ٤ ص ٢٩٨ ، نحوه .

ما تعلم، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرُك لما تعلم؛ إنك أنت علامُ
الغيوب^(١).

ومن الشعر في هذا:

عوذ لسانك قول الصدق تحفظ به
إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له
في الخير والشر فانظر كيف ترتاد
وهذا الإمام الشعبي رحمه الله كان يعجبه قول القائل:

أنت الفتى كل الفتى إن كنت تصدق ما تقول
لا خير في كذب الجواد وحبذا صدق البخيل

وأما **صدق الأعمال** : فلأن إظهار الأعمال على خلاف المقصود
الشرعي هو النفاق والرياء ، إذ المنافق هو الذي يظهر خلاف الذي
يبيطنه، فهو كافر بقلبه ويظهر أعمال الإسلام ، والمرائي هو الذي يحسن
الأعمال طلباً للشكر والحمد ممن يراه من الناس، لا طلباً لمرضاة الله عز

(١) قال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٣٢٢٨: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير
(٧/ ٣٣٥ - ٣٣٦)، ومن طريقه: أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٦)، وكذا ابن عساكر في تاريخ
دمشق (١٢٧/ ١٦) من طريقين عن سليمان بن عبد الرحمن: ثنا إسماعيل بن عياش:
حدثني محمد بن يزيد الرحبي عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد بن أوس قال: قال لي
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... فذكره، قلت: وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات،
وفي بعضهم خلاف لا يضرأنتهى كلامه.

وجل.

وأما **صدق الطلب والإرادة**: فكصدق خالد بن الوليد رضي الله عنه: طلب الشهادة في سبيل الله بصدق، وجاهد في سبيله حق الجهاد، وبذل كل الوسع في نيل الاستشهاد، فبلغه الله منازل الشهداء وهو على فراشه لا في ميدان القتال، وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي أنّ النبي ﷺ قال: (من سأل الله الشهادة من قلبه صادقاً، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) ^(١).

وأما **صدق الوعد**: فكصدق نبي الله إسماعيل - عليه وعلى نبينا وجميع النبيين الصلاة والسلام - حين وعد أباه النبي إبراهيم بالجلد والصبر والثبات والامتنال لما أمره الله بذبحه، يقول له: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فوفى بما وعد، فمدحه الله تعالى بصدق الوعد، فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وصدق الوعد هو صفة الأنبياء جميعاً ما كانوا ليخلفوا الوعود، غير أنه امتاز به مع إسماعيل؛ داود عليهما السلام، يقول عنه نبينا ﷺ حين إرشاده لصاحبه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (فصم صيام داود ﷺ، فإنه أعدل الصيام عند الله، يوماً صائماً، ويوماً مفطراً، وإنه كان إذا

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب استحباب طلب الشهادة، حديث رقم [١٥٧]: ج ١٣ ص

٥٧ بشرح النووي، وسنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة،

حديث رقم [١٧٠٥]: ج ٣ ص ١٠٣.

وعد لم يخلف، وإذا لاقى لم يفر (١).

أما المنافق فمن آياته وعلاماته التي يعرف بها: خلف الوعد كما في حديث آية المنافق ثلاث، ومنها: (.. وإذا وعد أخلف) (٢).

ولقد بنى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حاله كله على صدق الوعد، وكان أخوف ما يخافه الوعد الكاذب، فإنه لمّا حضرته الوفاة قال: «إنه كان خطب إليّ ابني رجلاً من قريش، وقد كان إليه مني شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلاث النفاق، أشهدكم أنني قد زوجته ابنتي» (٣).

* * *

والجوانب التي يتحقق فيها الصدق ويتزين بها المؤمن الصادق، ثلاثة: الصدق مع الله، والصدق مع النفس، والصدق مع الناس والمجتمع.

[١] الصدق مع الله:

فالصدق مع الله هو أعلى مراتب الصدق وركنه الأعظم، ولهذا عظم شأن الصادقين الذي صدقوا الله ما عاهدوا عليه، فاستحقوا المدح من ربهم تبارك وتعالى، والتكريم من رسوله ﷺ والمؤمنين، وقد قال تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما

(١) أخرجه النسائي وأحمد: سنن النسائي، كتاب الصيام، باب صوم يوم وإفطار يوم: ج ٤ ص

٢١٢، وأحمد في المسند: ج ٢ ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) سبق تحريجه.

(٣) المستخلص، ص ٤٠٦.

عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ﴿ على الصدق والوفاء ﴾ ومنهم من ينتظر ﴿ من نفسه الصدق والوفاء ﴾ وما بدلوا تبديلاً ﴿ يقول : ما شكوا ولا ترددوا في دينهم ولا استبدلوا به غيره ^(١) .

وذكر أنس بن مالك رضي الله عنه أن أنس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، فمشى بسيفه، فلقيه سعد ابن معاذ، فقال: أي سعد، إني لأجد ريح الجنة دون أحد . فقال سعد: يا رسول الله ، فما استطعت أن أصنع ما صنع . قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة ، بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته بينانه . قال أنس : فكنا نتحدث أن هذه الآية ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ﴾ نزلت فيه، وفي أصحابه ^(٢) .

ومن الصدق مع الله ما ورد عن أبي بكر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن رواحة بشهادة رسول الله ﷺ لهم.

أخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير: لما نزلت ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦] قال أبو بكر: يا رسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت، فقال ﷺ: (صدقت يا أبا بكر).

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ١٢ ص ١٣ طبعة دار هجر.

(٢) تفسير الطبري ، ج ١٩ ص ٦٥ .

وسئل سفيان عن قوله ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: (لو نزلت لكان ابن أم عبد منهم) أي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وعن شريح بن عبيد قال: لما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ الآية، أشار رسول الله ﷺ بيده إلى عبد الله بن رواحة، فقال: (لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل) يعني: ابن رواحة رضي الله تعالى عنه ^(١).

والمرء لا يكون صادقاً مع الله ما لم يجرد نيته وقصده عن كل العلائق والقصود الدنيوية، وتنقية قلبه من الهموم البهيمية والهمم الدنية والخواطر الردية ووقف النفس عن سوى الله عز وجل بالكلية.
ومن أنفع الطرق للصدق مع الله ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله:
«تزين لله بالإخلاص والصدق في الأعمال» ^(٢).

[٢] الصدق مع النفس:

ويكون بتعريف النفس حقيقتها وكنهها، وأنها لا شيء إلا برحمة الله وبكرم الله، ثم يحمل النفس على الفضائل وتنزيهاها عن الفضول التي لا يلقى منها نفعاً في الدين ولا في الدنيا مما يقره الشرع ويرعاه.
يصدق مع نفسه وإن ترجته وألحت عليه فيما تشتهي، فلا يلبي لها

(١) راجع هذه الروايات في: تفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٩٩٥، الدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص

٥٢٦. تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٣.

(٢) صفة الصفوة، ج ٤ ص ٢٣١.

طلباً ولا يداهن نفسه بحال، وكما قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله:
« لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره ».

ويكون المؤمن صادقاً مع الله ومع النفس حين يعترف بعيوب نفسه،
ويعمل على إصلاحها وتربيتها ، ومن جميل ما قيل في هذا المعنى، قول
أحمد ابن عاصم رحمه الله: « أنفع اليقين؛ ما عظم في عينيك ما به أيقنت،
وأنفع الخوف؛ ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فات،
وألزمك الفكر في بقية عمرك و خاتمة أمرك، وأنفع الصدق؛ أن تقرّ الله
عزّ وجلّ بعيوب نفسك » ^(١).

[٣] الصدق مع المجتمع:

وهذا الجانب من أهم ما يجب أن يتحقق به الصادقون، إذ المجتمع
الذي يمشي أهله بالكذب ويتعاملون بالكذب ويتفشى فيه الكذب عسيرٌ
على أهل الصلاح أن يصفوه بأنه مجتمع مؤمنين، لأنّ المؤمن لا يكون
كذوباً بحال، ولا يمكن أن يستقيم مجتمع أهله كاذبون، لذلك لا بدّ أن
يعرف المسلم أنه يجوز له أن يكذب أهله وأزواجه وأولاده وإخوانه
وعشيرته وأصدقاءه ورؤساءه وعماله وولادة أمره، ومن أوجب ما يجب
من الصدق - مع وجوب كل الصدق - :

أ- الصدق الأسري:

فالأسرة الصالحة هي نواة كل مجتمع صالح، ومجتمع المسلمين ينبغي
أن يزخر بالأسر الصالحة ، غير أن الصلاح لا يقرب أسرة ما لم يكن أفراد

(١) صفة الصفوة، ج ٤ ص ٢٧٨.

الأسرة صادقين، ولن يكونوا صادقين إذا كان عميدا الأسرة يكذب كل منهما على الآخر.

فالزوجان يجب أن يكونا أول الصادقين، يبدأان بالصدق منذ التعارف وساعة الخطبة، ويتصارحان بصدق، ويتعاشران بالصدق، يجعل كل منهما الآخر مرآته ليكون مكشوفاً مرئياً للآخر.

فالزوج الخادع الماكر يُصدّر للمجتمع أبناء مكرين مخادعين.. والزوجة الخدوع الخائنة تنجب للمجتمع أولاداً خائنين لبلدهم وأمتهم ودينهم.

وبالتالي يتلظى المجتمع بنار الغدر والخيانة والخداع واللوؤم.

ب - الصدق في المعاملة:

والتجار لا يجوز لهم أن ينفقوا سلعتهم بالحلف الكاذب، ولا أن يبايعوا الناس بتلفيق السلع ويعاملوهم بالغش والخداع، والرسول ﷺ يقول : (من غشنا فليس منا)^(١).

ومرّ ﷺ يوماً بمجنبات رجلٍ عنده طعامٌ في وعاء فأدخل يده فيه فقال: (لَعَلَّكَ غَشَشْتَ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)^(٢).

وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرّ على صبرة طعام، فأدخل أصابعه فيها، فإذا فيه بلل، فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام)؟ قال: أصابته سماء يا رسول الله، قال: (فهلاً جعلته فوق

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٩٤،

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم ٢٢٢٥.

الطعام حتى يراه الناس؟، من غشنا فليس منا^(١).

وخرج النبي ﷺ يوماً إلى المسجد فرأى يتبايعون، فقال: (يا معشر التجار! فاستجابوا لرسول الله ﷺ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: (إنّ التجار يُبعثون يوم القيامة فجّاراً، إلا من اتقى الله، وبرّ، وصدق)^(٢).

فإذا اتقوا الله وبروا وصدقوا في بياعاتهم جادت السلع وتوفر الطعام واطمأن الناس لما يشترون فطرحوا البركة في الأرزاق والأموال، وإلا فالملح الذي نعيشه في هذا الزمان إنما هو في الغالب من جشع التجار وتعجلهم الغنى وإرهاقهم الناس بمغالة الأسعار واحتكار السلع والغش في البيع، والله هو الغني الحميد.

ج - صدق الولاية والحكام:

ولاية الأمر والحكام والرؤساء هم عنوان المجتمع وقادته وسادته، فإن لم يصدقوا رعيته ومواطنيه؛ لن يجدوا من رعيته التقدير والاحترام والحب والنصرة، فكان من ضرورات الحكم والولاية أن يكونوا صادقين. والشعوب لا تقبل الرائد الذي يكذب أهله، والوالي الذي يغش قومه، والراعي الذي يخادع رعيته.

لهذا جاء النصيح من رسول الرحمة إلى الحكام والولاية أن لا يغشوا

(١) صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٧٠، برقم ٤٩٠٥.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التغليظ في الكذب والزور ونحوه،

برقم [١٢١٤]: ج ٣ ص ٥٠، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب التوقي في التجارة،

حديث رقم [٢١٤٦]: ج ٢ ص ٧٢٦. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قومهم وأن يصدقوهم في رعاية أمرهم والتعامل معهم.

قال الحسن البصري رحمه الله: أتينا معقل بن يسار رضي الله عنه نعوده، فدخل عبيد الله بن زياد - وهو وال بالعراق - فقال له معقل: أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: (ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم؛ إلا حرم الله عليه الجنة)^(١). وعند ابن حبان وغيره: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)^(٢).

فهلا حكام المسلمين وولاة أمرهم وساستنا جميعاً علموا؟؟ وهلا التزموا الصدق مع رعاياهم وشعوبهم؟؟ ولكن بعضهم يا حسرة عليهم!! اتخذوا النفاق سبيلاً، والكذب مركباً، والخداع سياسة، والتزوير في الانتخابات شرعة، والمداهنة منهجاً!! تجدهم مع كل فئة بوجه، ومع كل حال بجلد، وفي كل موقف بلبوس، متشبثين بقاعدة الكفار [السياسة كذب ونفاق].

أما الصدق عندهم ، فكما قيل:

الصدق مليكٌ مطرودٌ

لا جاه لديه ولا سلطانٌ

سجنوه دواماً في قفصٍ

سرقوا الأوسمة مع التيجانُ

(١) أخرجه البخاري برقم ٧٥١٥،

(٢) أخرجه ابن حبان برقم ٤٤٥٩،

صليبا أجنحة الطير
وباعوا الموتى والأكفان
قطعوا أوردة الصدق
ونصبوا سركا للبهتان^(١)
وبئس ما قالوا، وبئس ما اتخذوا .. والله المستعان .

* * *

(١) صلاح الأمة في علو الهمة: ج ٥ ص ٦١ .

آثار الصدق وثماره

إن كان هذا هو الصدق وأحواله ومحاله ؛ فإن الذي يصدق الله يصدق ، ويجزيه جزيل الثواب ، ويناله بالخير والكرامة في الدنيا والآخرة مما لم يؤمله ولم يتصوره.

بل الصدق ينير طريق الصادقين أينما ساروا أو حلوا أو رحلوا، ويسعدهم كيفما كان حالهم، وإذا ارتبكت الأمور حولك فالزم الصدق ففيه النجاة وفيه الحياة وفيه الهداية وفيه صفاء النفس وجلاء القلب ونقاء السريرة والبصيرة، وكما قال الواسطي رحمه الله:

وإذا الأمور تزاجت فالصدق أكرمها نتاجا

والصدق يعقد فوق رأس حليفه بالصدق تاجا

والصدق يقدر زنده في كل ناحية سراجا^(١)

فللصدق ثمرات جنية وآثار هنية، وعاقبة سنية، هي عقبى الذين صدقوا، ننبه على بعضها بتوفيق الله ..

[١] السلامة من الهرم والخرف:

فالصدق يحميك أيها المؤمن من ذهاب عقلك، فلا تصاب (بالزهايمر)، ولا بفقدان الذاكرة، ولا تقربك آفات الهرم من الخرف، ولا

(١) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ص ٥٣.

تستطيعك البطلة بزيغ أو انحراف.

قال مطرف رحمته الله: سمعت مالك بن أنس رحمته الله يقول: « قَلَّمَا كَانَ رَجُلٌ صَادِقًا لَا يَكْذِبُ؛ إِلَّا مُتَّعَ بِعَقْلِهِ، وَلَمْ يَصِبْ مَا يَصِيبُ غَيْرَهُ مِنَ الْهَرَمِ وَالْخُرْفِ »^(١).

[٢] الصدق نجاة من الهلاك:

فمن ثمرات الصدق، أنه سفينة النجاة في مواطن الهلاك، يلجأ إليه من أراد النجاة والفكاك، وابتغى الفرج من الله جلّ وعلا، فإن كعب بن مالك وصاحبيه ما نجاها من غضب الله وسخطه إلا صدقهم له، ولو كانوا فعلوا كما فعل المنافقون فكذبوا كما كذبوا واعتذروا بما اعتذروا لالتصق بهم النفاق أبداً وما كادوا يستطيعون التبرؤ منه.

وهذا الذي عبر عنه كعب رحمته الله حين تاب الله عليه وصاحبيه يعد به نفسه ويعد به رسول الله ﷺ يقول للنبي: « إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبيتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت »^(٢).

ولقد نجا بالصدق الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبق عليهم الغار، حيث توسلوا بما صدقوا الله به من إتيان طاعة، أو ترك معصية، فلما عجزوا عن مخرج ينجيهم من الغار، وكادوا أن ييأسوا من النجاة، قالوا: « إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما

(١) انظر: تفسير القرطبي، ج ٨ ص ٢٨٨.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم [٤٤١٨]: ج ٨ ص ١١٣ - ١١٦ ، بفتح الباري .

يعلم أنه قد صدق فيه ^(١).

وصدقوا - والله - فإنه لا نجاة إلا بالصدق، ولا فرج إلا في الصدق.

[٣] بلوغ المنى والطلب :

ومن ثمرات الصدق: أنه به يبلغ الصادقون المنى والطلب، ولقد رأينا كيف أن الصحابي المجاهد سيف الله المسلول - خالد بن الوليد رضي الله عنه - قد بلغ بصدق طلبه مناه، لما كان يتمنى أن لا يموت إلا شهيداً في سبيل الله، فيبلغه الله منازل الشهداء، وهو يموت على فراشه، والرسول ﷺ يقول في الحديث الصحيح (من سأل الله الشهادة من قلبه صادقاً ، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) ^(٢). وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: (من طلب الشهادة صادقاً أعطىها ولو لم تصبه) ^(٣).

ولكن لهذا الصدق علامات لا يمكن أن يدعيها كل أحد، وأقلها: الإعداد للقتال، والخروج في سبيل الله، ومقاتلة الأعداء، أما أن يتمنى أو يتحدث بلا إعداد، أو نفر، أو مقاتلة ومواجهة للعدو؛ فليس بصادق، وإنما هو مدّع .

ولقد تحقق خالد رضي الله عنه بذلك كله، فأعد نفسه للقتال، وخرج مقاتلاً منافحاً عن الإسلام، بل قاد جيوش الإسلام يطهر الأرجاء

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار ، حديث رقم [٣٤٦٥] : ج ٦ ص

٥٠٥ - ٥٠٦ ، بفتح الباري .

(٢) سبق تحريجه .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، برقم [١٥٦] : ج ١٣ ص ٥٧، بشرح النووي .

بدين الحق من أرجاس الكفر والشرك بالله.

وكان رضي الله عنه يقول عند موته: « ما كان في الأرض من ليلة يهدى إليّ فيها عروس وأنا لها محبّ، وأبشر فيها بغيّام، أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، أُصَبِّح بهم العدو، فعليكم بالجهاد»^(١).

وعن أبي وائل قال: لما حضرت خالداً رضي الله عنه الوفاة قال: « لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عمل شئ أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بثّها وأنا متترس، والسماء تهلّني تمطر إلى الصبح حتى نغير على الكفار. ثم قال: إذا أنا مت، فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله عز وجلّ.

فلما توفي خرج عمر رضي الله عنه إلى جنازته فقال: ما على نساء آل الوليد أن يسفنحن على خالد دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقلقة »^(٢).
وفعل عمر ذلك لأنه يرى أن خالدًا رابع، وأنه لاحق بالشهداء ممن كان يتمنى بصدق أن يكون منهم ، رضي الله عنهم أجمعين .
ويروى عن إسحق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي أن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم ١٩٧٦٧ ج ٥ ص ٣١٧، وانظر: الإصابة: ج ١ ص ٤١٤ ، وانظر: حياة الصحابة : ج ١ ص ٣٧٣ .

(٢) الإصابة : ج ١ ص ١٤٥ ، وانظر: حياة الصحابة : ج ١ ص ٣٧٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٣٥٠ / ٩]: أخرجه الطبراني عن أبي وائل بنحوه مختصراً وإسناده حسن، والنقع التراب، كقوله تعالى (فأثرن به نقعاً) كناية عن وضع التراب على الرأس جزعاً، أما اللقلقة الصوت وهنا كناية عن رفع الصوت بالنياحة ونحوها، ويراجع: فتح الباري لابن حجر، ج ٣ ص ١٦١.

عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش رضي الله عنه فقال: «يا رب! إني أقسمت عليك إذا لقيت العدو غداً فلنني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ويقر بطني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله! من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك يا رب وفي رسولك، فتقول: صدقت. قال سعد رضي الله عنه: فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط^(١). صدق الله فصدقه.

قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: أرجو أن يبرّ الله آخر قسمه كما أبرّ أوله^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كم من ضعيف متضعف ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه، منهم البراء بن مالك رضي الله عنه)؛ فإن البراء لقي زحفاً من المشركين - وقد أوجع المشركون في المسلمين - فقالوا: يا براء! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنك لو أقسمت على الله لأبرّك". فأقسم على ربك. فقال: أقسمت عليك يا ربّ لمّا منحنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين.. فقالوا له: يا براء أقسم على ربك. فقال: أقسمت عليك يا ربّ لمّا منحنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك صلى الله عليه وسلم فمُنحوا أكتافهم، وقتل البراء رضي الله عنه

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ج ٤ ص ٤١١، وقال الحافظ زين الدين العراقي في:

حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار: الحديث أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية واسناده جيداًه.

(٢) إحياء علوم الدين نفسه، ج ٤ ص ٤١١.

شهيده^(١).

وأخرج غير واحد من طريق حميد بن عبد الرحمن الحميري: أنَّ رجلاً يقال له حُمَمَة من أصحاب النبي ﷺ غزا اصبهان زمن عمر رضي الله عنه، فقال: اللهمَّ إنَّ حُمَمَة يزعم أنه يحب لقاءك، اللهمَّ إنَّ كان صادقاً فاعزم له بصدقه، وإنَّ كان كاذباً فاعزم عليه وإنَّ كره، اللهم لا ترد حممة من سفره هذا، فأخذه الموت فقال أبو موسى رضي الله عنه: يا أيها الناس! إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ﷺ ولا مبلغ علمنا إلا أن حُمَمَة شهيد^(٢).

وما كنا نتصور أن يقع مثل هذا الصدق والكرامة بالصدق إلا في زمان الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن كان مثل ذلك في زماننا لمن يصدق الله فيصدق الله.

والقصة رائعة بكل معنى!! فإنَّ داعية من أبناء الشُّلُك في جنوب السودان، صادق في دعوته لله بين أهله وقبيلته، معروف أنه لا يهَمُّ بزرق ولا منصب ولا مال، إنما فرَّغ همه كله في دعوة الناس إلى الإسلام، وفي كل يوم يدخل على يديه آحاد وعشرات من أبناء قبيلته في الإسلام بفضل الله تعالى وكرمه، وقد سعى لبناء مسجد لأداء الصلوات وتعليم المسلمين الجُدد أساسيات الإسلام، بنوا المسجد من الطين واللبن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم ٥٢٧٤، ج ٣ ص ٣٣١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال: صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم ١٩٦٧٦، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح إن ثبت سماع حميد بن عبد الرحمن الحميري لهذه القصة من أبي موسى والطبراني في المعجم الكبير برقم ٣٥٢٩، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم ٤٠٠٤. وابن أبي شيبه في المصنف برقم ٣٤٤٨٩.

الأخضر، فتشقق المسجد تشققاً شديداً، فحاول القسيس في الكنيسة القريبة من المسجد استغلال ذلك ليشكك في الإسلام والمسلمين، فقال للنصارى في كنيسته: المسلمون يقولون لمسجدهم بيت الله، هل يعقل أن يترك الله بيته يتشقق؟ فمن المؤكد أنهم يغشون الناس ويخدعونهم. فسمع الشيخ الداعية، فتوجه يوم الأحد إلى الكنيسة، وناقش القسيس، فقال له: إنَّ مسجدنا تشقق لأنه لم يتحمل التكبير في الأذان، ولو أذنت لي بالأذان في هذه الكنيسة الآن لتشقق.

فقال النصارى للقسيس: دعه يؤذن ليظهر كذبه ويفضحه الله.

فأذن له القسيس بالأذان، فما أن بدأ يؤذن الله أكبر الله أكبر؛ حتى أخذت أركان الكنيسة وجناباتها تشقق تصدقاً من الله لهذا الداعية الصادق، لأنه صدقه في دعوته وصدقه في رجائه وحجته، وصدقه في الاعتماد عليه لإكبات الذين حرفوا دينهم واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، فأسلم أكثر من في الكنيسة يشهدون شهادة الحق بموقف الصدق مع الله، والحمد لله الذي آيد عبده الداعي إليه فصدقه وأظهر دينه.

وهكذا! فإن من صدق الله صدقه الله، بفضله وكرمه وإحسانه، والحمد لله رب العالمين.

[٤] بلوغ الطمأنينة :

وبالصدق يبلغ الصادقون مع الله طمأنينة القلب، وراحة النفس، يطمئنهم ربهم بالخير والرحمة والعفو والمغفرة، وأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ولا يمكن أبداً أن يحصل اطمئنان للمسلم وهو يكذب ، بل يرتاب ويبقى في الريبة ما كذب، أما الذي يصدق ، فإنه يطمئن لصدقه، وفي حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة)^(١) .

[٥] بلوغ صدق التقوى :

وبالصدق يبلغ أهله التقوى، ولا يصدق المؤمن في تقواه إلا إذا صدق مع الله، فلا يجامل في الله أحداً، ولا يدهان في دينه طاغية أو جباراً، ولذلك قرن رب العزة الصدق مع التقوى فطلب من المؤمنين أمرين: التقوى والتزام أهل الصدق والانضمام إليهم فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩] .

وفي آية البر جمع بين الصدق والتقوى فقال عن أهل البر ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

ولما وصف نبيه ﷺ ، وصاحبه الصديق رضي الله عنه بالصدق أشار إليهما بأنهما المتقون - تخصيصاً وتعظيماً وتشريفاً - فقال تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] .

(١) أخرجه بهذا النص القضاعي في (مسند الشهاب) ، حديث رقم [٢٧٥] : ج ١ ص ١٨٦ . وأخرجه الترمذي بلفظ (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة) ، كتاب صفة القيامة ، حديث رقم [٢٦٣٧] : ج ٤ ص ٧٧ ، وقال الترمذي : هذا حديث صحيح . وأخرجه أحمد في المسند : ج ١ ص ٢٠٠ .

[٦] صدق الرؤيا بصدق اللسان:

ومن آثار الصدق في الصادق أنه إن كان صادق اللسان والجنان قامت حياته كلها على الصدق والوضوح فيطمئن قلبه بكل ما يقع له، فلا يرى إلا صدقاً، ولا يسمع إلا صدقاً، وتأتيه البشارة، ويستشرف المستقبل في الصحو والنوم في الرؤى و الرؤيا، وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك فيما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال: (أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً) (١).

[٧] دخول الجنة به ولو قلّ العمل:

فإن المسلم الصادق إن صدق في عمله وعبادته، وأقام أمره على هذا الصدق ما عاش، فإن صدقه يسوقه إلى الجنة سوقاً، فيدخلها فائزاً حائزاً كرامة الكريم المتأن في أعلا الجنان، وإن قلّ عمله، وقلت طاعاته، فإن النبي ﷺ بشر ذلك الأعرابي بالجنة إن صدق في أداء الفرائض، فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن أعرابياً من أهل نجد جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس يسمع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (خمس صلوات في اليوم واليلة)، فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري برقم ٧٠١٧ ومسلم برقم ٢٢٦٣، وتما الحديث (إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة، رؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس) واللفظ لمسلم.

(وصيام رمضان). قال: هل علي غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة. قال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: (أفلح إن صدق أو: دخل الجنة إن صدق) ^(١).

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اتتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم) ^(٢).

وفي المنتقى شرح الموطأ، قال بشر بن بكر: رأيت الأوزاعي رحمه الله مع جماعة من العلماء في الجنة، فقلت: وأين مالك بن أنس؟ فقل: رُفِع، فقلت بماذا؟ قال: بالصدق ^(٣).

[٨] جزاء الصدق من جنس الصدق :

وأهل الصدق يكرمهم الله غاية الإكرام فيجعل جزاءهم من جنس ما عملوا ، فيجازي صدقهم بالصدق كما قال تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٩٥٦، وبرقم ٢٦٧٨، وبرقم ١٨٩١، ومسلم برقم

١٠٩، والنسائي برقم ٤٥٨، وأبو داود برقم ٣٩١، وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم ج ٥ ص ٣٢٣، وقال شعيب الأرنؤوط: "حسن لغيره وهذا

إسناد رجاله ثقات" وابن حبان في صحيحه برقم ٢٧١، والبيهقي في السنن الكبرى برقم

١٣٠٦٦، والحاكم في المستدرک برقم ٨٠٦٦، وعن أنس برقم ٨٠٦٨، وقال هذا حديث

صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) المنتقى شرح الموطأ للباقي، ج ٤ ص ٤٥٦.

الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴿[الأحزاب : ٢٤].

فجزاء الصادق كله صدق :

* فجوزي الصادق بلسان الصدق، كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ

لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم : ٥٠].

* وجوزي بقدّم الصدق، فقال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ

صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس : ٢].

* وجوزي بمقعد الصدق، فقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي

مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر : ٥٤ ، ٥٥].

* وجوزي أيضاً بمدخل الصدق ومخرج الصدق، فقال تعالى ﴿وَقُلْ

رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٠].

فما أجمل هذا الجزاء وما أكمله ..

جعلنا الله وإياكم من الصادقين ، وأدخلنا وإياكم مدخل الصدق،

وأخرجنا مخرجه، وجعل لنا مقعد الصدق ولسان الصدق ، وبشرنا بقدّم

الصدق عنده هو الكريم الجواد الوهاب ..

آمين.



فَهْرِسْتُ الْمَحْتَوَاتِ

مُقدِّمة	٥
مفهوم الصدق ومعناه	٧
مقام الصدق ومنزلته	٩
دعوة القرآن الكريم إلى الصدق	١٤
دعوة السُّنَّة إلى الصدق	٢٢
مقام الصدق عند العلماء	٢٥
حكم الصدق وحكم الكذب	٢٨
أولاً: الحالة التي يُكره فيها الصدق:	٣٣
ثانياً: الحالات التي يحرم فيها الصدق:	٣٤
١- السعاية:	٣٥
٢- النميمة:	٣٦
٣- الغيبة:	٣٦
٤- المراء:	٣٨
درجات الصدق ومراتبه	٣٩

- ومن علامات الصّدِّيق: ٤٠
- ما قيل في حقيقة الصدق: ٤٢
- ١- إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ٤٥
- ٢- رباعي بن حراش والحجاج: ٤٥
- ٣- صاحب ابن الأشعث مع الحجاج: ٤٦
- ٤- أبو عمرو الزجاجي: ٤٧
- ٥- عبد القادر الجيلاني وقطاع الطريق: ٤٧
- ٦- فرح ود تكتوك والمأمور الإنجليزي: ٤٨
- مجالات الصدق ومخالّه ٥٠
- [١] الصدق مع الله: ٥٤
- [٢] الصدق مع النفس: ٥٦
- [٣] الصدق مع المجتمع: ٥٧
- أ- الصدق الأسري: ٥٧
- ب- الصدق في المعاملة: ٥٨
- ج- صدق الولاية والحكام: ٥٩
- آثار الصّدق وثماره ٦٢
- [١] السلامة من الهرم والخرف: ٦٢
- [٢] الصدق نجاة من الهلاك: ٦٣

- [٣] بلوغ المنى والطلب : ٦٤
- [٤] بلوغ الطمأنينة : ٦٨
- [٥] بلوغ صدق التقوى : ٦٩
- [٦] صدق الرؤيا بصدق اللسان : ٧٠
- [٧] دخول الجنة به ولو قلّ العمل : ٧٠
- [٨] جزاء الصدق من جنس الصدق : ٧١
- فهرس المحتويات ٧٣

